

### الفصل الثالث

## شعري عبر عن الصراعات القبلية بين قبائل إفريقيا فيما وراء الصحراء

- قصيدة « أحمد البكاي بن محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي » يهجو بها « كلنتصر ».

obeikandi.com

## الصراعات القبلية بين قبائل جنوب الصحراء

فرضت قساوة الصحراء على سكانها التكتل والقبلية والأحلاف وهو طابعها العام والمميز لها، فنجد كل قبيلة تتحالف مع الأخرى وتشارك معها في الماء والكأ، وتنهض كل واحدة منهما لنجدة الأخرى إذا ما تعرضت لخطر داهم. وعادة ما يكون النزاع بين أفراد القبائل على الماء والكأ، أو إذا تعرض أحد أفراد القبيلة لأي اعتداء من قبيلة أخرى. وقد تنشأ بينهم، حروب تطول أو تقصر، ولكن عادة ما تتدخل أطراف أخرى للإصلاح بينهم وتبادل القبيلتان أصنافاً من الشتائم، وتذكر كل قبيلة ما كانت عليه الأخرى من أعمال مشينة لاتليق بمكانتها، وتصغرها في نظر القبائل الأخرى. والمعبر عن آراء القبيلة هو مديع الصحراء، ورجل الإعلام، الشاعر الصحراوي.

وهذا اللون الذي نقدمه يعكس صراعاً بين قبيلة كنته وقبيلة كلنتصر، وكان هذا الصراع في أوائل القرن العشرين، بحيث كان بعض من قبيلة كنته يقطن تغارست، والبعض الآخر على نهر النيجر، وجزء ثالث منها حول الآبار من الناحية الشمالية.

أما قبيلة كلنتصر فموطنها بلدة قندام والتي تقع إلى الغرب من مدينة تنبكت وتبعد عنها بحوالي خمسين كم، وقد زرتها عام 1985.

### أسباب الصراع :

يقال : إن فتى من قبيلة كنته سافر إلى قندام، فصادف الفتى الكنتى رعاة من كلنتصر وطلب منهم شاة ليأكلها فرفضوا طلبه، فحاول أخذها بالقوة، فما كان من الرعاة الا أن أشبعوه ضرباً.

وعندما سمعت قبيلة كنته الخبر، اعتبروا ذلك إهانة لهم، فما كان منهم إلا أن نهضوا لقتل الرعاة وأدركوهم على بئر يقال له (أنجيا) فقتلوا بعضهم وفر الآخرون. وعندما تناهت الأخبار إلى مسامع قبيلة كلنتصر وما تعرض له رعاتهم، جمعوا أحلافهم من القبائل وتوجهوا صوب مضارب قبيلة كنته للانتقام، والتقى الجمعان في موضع يدعى (تغاو غوين) ودارت معركة حامية الوطيس، كان النصر فيها حليف قبيلة كلنتصر، وقتل في هذه المعركة أمير كنته وقائد جيشها، وغنمت كلنتصر غنائم كثيرة، إلا أن نار الهزيمة ازدادت اشتعالا في قلب قبيلة كنته، فبينما كانت قبيلة كلنتصر راجعة بعد المعركة، لحقت بهم قبيلة كنته في بلدة (أنبكسا) وتجددت الحرب من جديد، وانتصرت قبيلة كلنتصر للمرة الثانية على كنته.

وكانت تغذي هذه الحروب النعرات والعصية القبلية. والمنتصر في هذه الحروب مهزوم، فبدلا من أن يوجهوا أسلحتهم إلى صدر المستعمر يوجهونها إلى بعضهم البعض، وبدلا من أن يتغنوا بأمجادهم التليدة الزاهرة يتقاتلون لأنفه الأسباب.

فهذا أحمد البكاي بن محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفى عام 1865م بمدينة (ساردين)، ينظم قصيدة طويلة يهجو فيها كلنتصر، نوردها كنموذج من نماذج الهجاء الذي كان منتشرا في جنوب الصحراء.

## يقول :

كُفُّوا عن الحرب لستم أهلها بني  
إننا رجال بني الكنتي صولتنا  
نصد عنكم إذا تُؤذوا ونترككم  
ونستلين لكم واللين شيمتنا  
جالوتَ والتزموا الأحرثَ والبقرأ  
في الحرب والضرب لاتبقي لكم أثرا  
على أذاكم ولم نذكر لكم خبرا  
لغير من يتبغي لنا به الخورا<sup>(1)</sup>

(1) الخور : الضعف.

وأنف السب سبكم وذمكم  
ومن أقام على صداقة ومن اع  
حتى إذا مار شحم بين أضلعكم  
قاتلتمونا بلا جرم مكابرة  
وبعد قتلکم لمنع قاتلنا  
كفى من الهون أن تأبوا بصاحبنا  
فلم تُقيموا حدود الله في حدث  
ولم تليّنوا بقول كان أو عمل  
لما أبيتّم وجدتم غب قتلکم  
ذُذناکم من ديارکم نتبعها  
نسوقکم بأعاليها وأسفلها  
نطارذ الجمع والفريد مُنفراً  
حتى بلغنا بكم تنبكت أرضکم  
وطبلکنک وبتکنک بلدته  
وساحل البحر لم نترك بساحته  
وجزتم عامدي فرش معاقلکم  
لما استقرت بفرشکم مجالسکم  
إذا بخيل عليها الأسد غاشية  
ترخي أعنتها للموت خائضة

ولم نُبال بمن جفا ومن هجرا  
تدى ومن برّ في الأقوال أو فجرا  
وغرکم تركنا إياکم غررا  
على العزيز الكريم الخالق الصورا  
وحربنا دونه تمالذ الكبرا  
عشرين منکم كراما عندکم غررا  
عمت نوائره الأهلينا والنظرا  
ولم تملوا فتطفوا الشر والشررا  
قتلاً ذريعاً يذيق الظالم الصبرا(1)  
داراً فداراً فمرعى ناعماً نصررا  
سوق النعام ينساقى السهل والوعرا  
نفي الضراغم من أوجارها...  
وبيس بند عرأة جوعاً فقراً(2)  
أمست خلاء فلم نبق بها أثراً(3)  
من الثعابين لاسمماً ولا بصرا  
ورأس ماء بكم لتنفروا النفرا(4)  
وخلتم بطئنا في جنبنا حذرا  
من جانب الغرب لن تبقي ولن تذرا(5)  
بحر المنية لا تخشى بها ضررا(6)

(1) نعت الصبر بعصارة شجر مر. وقيل: «الصبر مفتاح الفرج».

(2) بيس بند: دشرة إلى الشرق من تنبكت شهدت منازعات بين قبيلة كلتتصر وكنته.

(3) بتكذ وطبلکنک: قرية صغيرة في شرق تنبكت، جرت فيها معارك بين كلتتصر وكنته.

(4) فرش: جبل بين تنبكت وقندام مرتت به. أما رأس الماء فهو مكان شمال بلدة قندام.

(5) يحذر الشاعر أعداءه ويفتنخر في آن واحد بأن فرسانهم كالأسود على جيادهم العربية الأصيلة تقدم

عليكم من ناحية الغرب تفني أولكم وآخرکم.

أطفال صدق تربت من أكابرها  
توارثته من الأجداد ليس لها  
ولاجبان ولانذل ولابخل  
فبدت كلغزاف وشيعتهم  
وإيكتاون ومن والاهم نهبت  
من جانب الحوض منازلها كرم  
جاءت تدافع بالأيدي بنادق في  
على جياذ محنات مسومة  
فلم يقم لوجودها ووجهتها  
فبعد يومين أو ثلاثة رجعت  
وخلفتكم رعاغاً لاغناء لكم  
وجاءت الخيل نحو الشرق تركلها  
تحذو بجيش به الأبطال نائحة  
فبددتكم كفعل الأولين ولم  
فقتلت بخيامكم صدوركم  
وصيرتكم بها هلكى كأنكم  
وحملت بعدُ بالطبُول أبعرة  
لما تولت وما استقصى أخوكم  
قفوتموهم بأضعاف مُضاعفة  
من بعدما اقتسموا منكم غنائكم  
إذا بكم تلقطون كل منخزل  
فقتلوه وقد ريئت أرائلكم

في المجد لا ترتضى لمجدها الغير(1)  
جدُّ هزيلٌ ولا يتبع البقرا(2)  
ينحط عن فتى العلياء منكسرا  
وصيروا شذراً بأرضهم مذراً  
أموالهم زمرٌ أكرم بها زمرا  
يوم الرخا وعن الأقران لم تحرا  
أجوافها من صنيع الروم ما نضرا  
مثل الخذاريف ترمي الفارس الخطرا  
من نجل جالوت إلاجاء مُتشرراً  
وألبستكم وراها الشمس والقمرأ  
سوى رعاية ما استطار وانتشرا  
ببني الوجوه حسان الهيئة الأمرا  
نوح الثكالى تباري الشادي الضجرا(3)  
تلو على غير من من جمعكم حُشرا  
والمال أبقث لمن... ظفرا  
أعجاز نخل أثيل النبت منقعرا  
ثلاثةً وأبت أن تنتف الشعرا  
والحر لا يعلق الأدران والغمرا  
وقد تقلل من مجموعهم كثرا  
وأيقنوا أنكم لم تقتفوا أثرا  
عن السواد ضعيف القلب منسترا  
وجيشنا صدره قد أخلع الخمرا

(1) يذكر الشاعر أعداءه على أنهم تربوا على الصدق والإباء ولا يرضوا بالظلم وإن طال الزمن.

(2) هذا البيت أراد به الشاعر تصغير شأن خصمه.

(3) الشادي : المغني.

فانحاز آخره وارتد أوله  
 فلم تفيئوا إلى صدر ولا ذنب  
 غارات حق من الرحمن ليس لها  
 فقتلت منكم سبعين مع مائة  
 وتابعتكم رجالنا تطاردكم  
 حتى جلوكم وقبل غير واحدة  
 عن العذارى وأموال منعمة  
 هذا وأنتم كمثل الشاة تتبع ما  
 نعجل بقتلكم . . . . .  
 هل تستوى ألف عير في مزابلها  
 أم هل يوازي بعبد السوء في ملاء  
 فداء ديتة تربو على مائة  
 لولا القصاص الذي في النور جاء كما  
 فقال منها لكم للحمق قائلكم  
 والله لانفتدى بعيننا بشراً  
 فاستكبرت قومكم عن حق مالكم  
 ونحن نخوتنا قد رض قسوتها  
 دليل ذاك تعافينا وجرأتكم  
 قطعتم السبل بعد القتل وانتشرت  
 ففرقت فرقة منكم أراجسها

فانغل عسكريكم بالذل مُحتمرا  
 كأنكم ترفضون خلفكم بعرا  
 إلا اللجاء وأنتم للجا حُفرا  
 بغير من بالبراري ساقطا نثرا  
 رجال صدق وفي يوم الوغى صُبرا  
 جلوكم عنكم بقهر من قهرا  
 تطمو بكثرتها الأحجار والشجرا  
 من السباع تولى هاربا حذرا  
 إذ لستم كلكم أكفاء من غدرا(1)  
 مع ضيغم صيته استنار وانتشرا(2)  
 مهذب عن صدور الناس قد صدرا  
 وذا ثمنه إن جاوز العشرا  
 قلنا ابعثوا عشرة فدى لمن ثارا  
 وقد قضى الله في الأمور ما قدرا  
 لو كان في عزه وملكه عمرا  
 قفوا لإبليس من بربه كفرا  
 شرع العزيز فما أبقى لها وضرا(3)  
 ونحن أحرى بأن نباهى وأن نثرا(4)  
 رياح ظلمكم فأثرت أثرا  
 والقائد أمكي في الأجلاف مستترا(5)

(1) هذا الفراغ لم تتمكن من قراءته من المخطوطة الأصلية. (المؤلف).

(2) الصيت (بالكسر) : الشهرة والذكر الحسن.

(3) الوضر : الوسخ.

(4) بأن نباهى : نفخر. ونثرا: نطلب الوكر.

(5) أمكي : اسم تارقي، وهو بطل من الأبطال وقائد من قواد قبيلة كلنتصر. قارع الفرنسيين في كثير من

المواقع وألحق بهم هزائم نكراً شهد له بها الأعداء قبل الأصدقاء، إلا أن أيدي الاستعمار طويلة، فقتل =

يأثر خمس وعشر قومنا نهبت  
فبعد خمسة أيام تُطالبُها  
تذكرت بعدما قلت مآكلها  
كفعل ذئب الغضا لم يترك بلدنا  
فلم نبال ولم نعبأ بجيشكم  
قد غركم تنكريكف وشيعتهم  
إنكم أنتم الذين قد نصرروا  
وأضحكت قومكم فيكم براشكم  
حتى جعلتُم كيودكُم وجدكُم  
فمن أراد لها الدمار دمره  
سلطتم بذنوبنا وغفلتنا  
فلن نفارقكم حتى تلين لنا  
حتى تفوا وتدوا من البرابش من  
قتلتهم أربعين من كماتهم  
لأننا وهم كمثل جارحة

من قومكم قطعة تشفى بها الوحرا  
أوشيعها نكصت عدو الظليم ورا(1)  
طعم المخيض فشدت نحوه الأزرا  
له به شبعٌ يقضى به الوطرا  
إذ أتم ضعفا في جلية الأمرا  
إذ يكذبون عليكم بينكم حضرا(2)  
نبينا حاش من به النبي نصرا  
أعداءكم خفية والحق قد ظهرا(3)  
فينا كنانة لاجحداً ولانكراً  
رب السموات تدميرا كما سطرنا  
على حمانا كلابا تأكل العذرا  
منكم رقابا تحاكي الصخر والحجرا  
صيرتم دمهم بظلمكم هدرا  
ونحن أجدر من يطالب الوترا  
متى اشتكى بعضها فبعضها نفرا

= بخيانة بعض من أبناء جلدته المتعاونين مع المستعمر.  
والأجلاف: جمع جلف؛ وهو قاسى القلب وغليظه.

(1) شيعها : قربها. ونكصت : رجعت وتقهقرت.

(2) تنكريكف: قبيلة من قبائل توارق عرب الصحراء الكبرى. من أبناء أولاد أداد. وقبائل التوارق ينقسمون

بدخلهم إلى عدة أفخاذ، من بينهم فخذ أداد، وهم أبناء عمومة توارق مدينة غات بليبيا.

(3) البرابيش : مجموعة قبائل ائتلافها سياسي وليس عرقيا تضم أكثر من عشرين فخذاً من بينها فخذ أولاد

سليمان والعلاونة وأولاد ناصر والرحامنة، وهذه الأفخاذ لها امتدادات فى ليبيا. ويختص فخذ أولاد

سليمان فى البرابيش بالزعامة والعلم، وكانت وما تزال لقبيلة البرابيش المكانة المرموقة فى جنوب الصحراء.

ولا يمكن لأي إمبراطورية أن تقوم لها قائمة مالم تكسب ود البرابيش، وقد ساندت قبيلة البرابيش الملك سن

علي إمبراطور إمبراطورية سنغاي والتي تمتد من موريتانيا إلى نيجيريا فى حروبه ضد المتمردين وفى فتوحاته

للقبائل الوثنية. وسن علي يرجع أصله إلى أسرة ليبية نزحت من طرابلس الغرب وهي أسرة ضياء، ونشرت

الإسلام فى تلك البقاع وأعجب أهالى البلاد بمكانة وأخلاق هذه الأسرة ونصبوا أحد أبنائها حاكماً عليهم

هو سن علي. وسن بمعنى حامى السنة.

ثم الصلاة على المختار من مضر  
وآله ثم صحب تابعوه على  
حق فما عدموا الأعوان والنصرا  
(1).....

\* \* \*

وقال أيضا يجيب أحمد سالم بن السالك اللمتوني قصيدته التي يقول فيها:

أرقت لبرق العارض المتهلل  
عيناك فانهمتا بدمع مسبل  
بهذه القصيدة:

طرقت نفيسة والدجى لم ينجل  
باتت يمثلها لعيني طيفها  
غيداء كُنْتَاوِيَّةٌ أَمْوِيَّةٌ  
لامن يعيش ولا دولحاجية  
لكن من الكنتي ينميها أبٌ  
ذمٌ على من يتغيه وصالها  
فخر الفتى في وصلها لو ناله  
وسنان من طول السرى في الهوجل (2)  
فأرقت لا للعارض المتهلل (3)  
قُرْشِيَّةٌ وَمِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ (4)  
عجماء لم تنبل ولم تتنبل (5)  
فأب إلى عدنان غير مُضلل  
بالقرب كانت أم بأرض الموصل (6)  
لكن لعزة وصلها لم توصل

\* \* \*

(1) هذا الشطر غير مقروء في المخطوط الأصلي.

(2) الدجى : جمع دجية أي الظلام. والوسنان : النائم. والهوجل : المغارة البعيدة لاعلم بها.

(3) الطيف : الخيال.

(4) الغيداء : المثنية لينا.

(5) يعيش : قبيلة من الحسانيين. ودولحاج : قبيلة أحمد سالم بن السالك. ولم تنبل : لم تكن نبيلة. ولم

تتنبل : لم تتكلف النبل. والنبل : النجابة.

(6) الموصل : مدينة بالعراق.